رسالة الأنبياء

المكان: طهران

الزمان: ١٣٩٣/٣/٦ش. ١٤٣٥/٧/٢٧هـ. ٢٠١٤/٠٥/٢٧م.

الحضور: مسؤولو الدولة وسفراء البلدان الإسلامية

المناسبة: المبعث النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وعلى صحبه المنتجبين، ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

أبارك ذكرى بعثة نبي الإسلام المكرم (ص) – وهي في الواقع أكبر أعياد الإنسانية – لكم جميعاً أيها الحضور الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات العزيزات والضيوف الأعزة سفراء البلدان الإسلامية الحاضرون في جلستنا هذه، ولكل شعب إيران الذي أثبت التزامه برسالة بعثة الرسول (ص) وخرج مرفوع الرأس من الامتحانات الكبرى والصعبة التي اعترضت طريقه.

كما أبارك هذا اليوم الكبير لكل الشعوب المسلمة وللعالم الإسلامي ولكل واحد من المسلمين في أية نقطة من العالم كان، وكذلك لكل الأحرار في العالم، أولئك الذين يشعرون بالحماس لرسالة الحرية ورسالة العدالة ورسالة الإنسانية وتكريم الإنسان ويرتاحون لها.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء.. حول بعثة الرسول الأكرم (ص) هناك الكثير من الكلام يمكن أن يقال ويدرس. الشيء الضروري لنا اليوم وللعالم الإسلامي وينبغي التنبه له هو نقطتان أو ثلاث نقاط: إحدى هذه النقاط هي تلك التي أشار لها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) في خطبة من خطب نهج البلاغة، حيث طرح سبب بعثة الرسول الأكرم (ص) والرسل الإلهيين العظام (ع) كما يلي: «لِيستَأدُوهُم مِيثاقَ فِطرَتِهِ ويذَكروهُم مَنسِيَّ نِعمَتِهِ ... ويثيروا لَهُم دَفائِنَ العُقول»(١).. أي ليعيدوا الناس إلى الفطرة الإنسانية وإلى الطبيعة الإنسانية الملاصقة للشرف والكرامة، ويذكّروهم بالنعم الإلهية المنسية، ويبعثوا لهم ما دفن من عقولهم.

بفضل العقل يستطيع الناس إدراك رسالة الأنبياء، وأن لا يخافوا من مشكلات وصعاب طريق الأنبياء النيّر، ويستطيعوا السير في هذا الطريق وطيّه. ببركة العقل والفكر والتفكير تقدر البشرية على أن تنتفع انتفاعاً صحيحاً من مفاهيم القرآن الكريم. لو عمل المجتمع الإسلامي بهذا الأمر فقط، أي تحويل الطاقة الفكرية واستخدام التفكير والعقل إلى حالة شائعة بينهم، فإن معظم مشكلات البشرية سوف تعالج، وغالبية معضلات المجتمع الإسلامي ستجد طريقها إلى الحلّ.

لاحظوا اليوم أنه في منطقة ما وباسم الإسلام يمارسون ممارسات ظالمة ضد الناس الأبرياء، وفي منطقة يرتكبون المذابح الجماعية ضد المسلمين بسبب إسلامهم. في منطقة أو بلد من أفريقيا يتعرض البعض للقتل والاعتداء والظلم بسبب إسلامهم. وفي منطقة أخرى يختطف البعض بنات الناس باسم الإسلام ويهربون. هذا بسبب أن رسالة الإسلام لم تفهم من قبل المسلمين. علينا نحن المسلمين أن نفهم القرآن الكريم والإسلام بصورة صحيحة ونصل بميزان عقولنا وتفكيرنا وبهداية الفكر البشري والإسلامي إلى أعماق تعاليم رسول الإسلام (ص).

حين نغفل عن رسالة الإسلام، حيث قال القرآن الكريم: ﴿وَقالَ الرَّسولُ يا رَبِّ انَّ قَومِی اتَّخَذوا هذَا القُرءانَ مَهجورا﴾(٢) وعندما نهجر القرآن الكريم، ولا ننظر نظرة فاحصة لمفاهيمه، ولا نبصر بصورة دقيقة وصحيحة مجموعة المفاهيم القرآنية التي تمثل منظومة متكاملة لحياة الإنسان، عندها سوف نزلّ ولا تستطيع طاقاتنا العقلية أن تمدّنا بفهم صحيح عن المفاهيم القرآنية.

ثمة في العالم اليوم أعداء يناصبون الإسلام العداء بصورة علنية. ومجابهتهم للإسلام تتمثل قبل كل شيء ببث الخلافات والنزاعات. وأعمق وأخطر الخلافات هي الخلافات العقيدية والإيمانية. وفي العالم اليوم تعمل أيادي الاستكبار على التحريضات الإيمانية والعقيدية للإيقاع بين المسلمين. البعض يكفّرون البعض الآخر، ويشهر فريق سيوفهم بوجه فريق آخر، ويعمل الإخوة بدل التعاون بينهم وبدل أن يضع بعضهم أيديهم في أيدي بعض، على وضع أيديهم في أيدي الأعداء ضد إخوتهم! يثيرون الحروب بين الشيعة والسنة، ويؤججون المشاعر القومية والطائفية لحظة بعد لحظة. طبعاً الأيدي التي تقوم بهذه الممارسات أيد معروفة. لو فعلت الطاقات العقلية وأنوار الفكر والوعي – وهذا ما أمرنا به القرآن الكريم – فعلها فسوف نرى أيدي الأعداء ونفهم محفزاتهم ودوافعهم.

من أجل أن تصل الأجهزة الاستكبارية لأهدافها الاستكبارية في العالم الإسلامي، ومن أجل أن تغطي على مشكلاتها وتخفيها تعمل على بث وتأجيج النزاعات والخلافات بين المسلمين، وتعمل على التخويف من الشيعة والتخويف من إيران، من أجل حماية الكيان الصهيوني الغاصب، ولكي يعالجوا بنحو من الأنحاء التعارضات التي أفضت إلى إخفاق السياسات الاستكبارية في هذه المنطقة. إنهم يرون السبيل إلى ذلك في زرع الشقاق والصراع بين المسلمين. يجب رؤية هذا وفهمه، وهذا هو المتوقع من النخبة والواعين.

ما تشيعه الأجهزة السياسية الغربية راهناً هو تلك الجاهلية التي كانت بعثة الرسول الأكرم (ص) من أجل محوها من بيئة الحياة الإنسانية. وعلامات هذه الجاهلية تشاهد اليوم في العالم في الحضارة

الغربية الفاسدة، إنها نفس حالة انعدام العدالة ونفس التمييز ونفس تجاهل الكرامة الإنسانية ونفس تضخيم الأمور والحاجات الجنسية.

يقول القرآن الكريم مخاطباً نساء الرسول الأعظم (ص): ﴿وَقَرنَ في بُيوتِكنَّ ولا تَبَرَّجنَ تَبَرُّجَ الجَاهلِيةِ الأُولَى﴾ (٣). تبرّج النساء من علامات الجاهلية الأولى، ونفس هذا التبرّج هو اليوم من أبرز مظاهر الحضارة الغربية. إنها نفس تلك الجاهلية لكنها جاهلية استطاعت أن تسلح نفسها بأسلحة الإعلام والدعاية الحديثة، وتخفي الحقائق عن أنظار الناس. هذا شيء يجب أن نفهمه نحن المسلمون ونعلمه.

العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى الإقبال على الفكر والتفكير والتعوّد على التفكير، وعلى فهم الأمور والقضايا وتحليلها بصورة صحيحة. العالم الإسلامي يوم بحاجة إلى معرفة جبهة أعداء الأمة الإسلامية معرفة حقيقية. لنعرف أعداءنا ولنعرف أصدقاءنا. لوحظ أحياناً أن مجموعة منا نحن المسلمين تتعاضد مع أعدائنا لضرب أصدقائها وإخوتها! هذا شيء يضرّ بنا ويصيب هذه الأمة الإسلامية بالاضطراب والضعف. هذا شيء ناجم عن عدم البصيرة. العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى هذه البصيرة وإلى هذا التدبر والتفكير وإلى إثارة دفائن العقول: «وَيثيروا لَهُم دَفائنَ العُقول»(٤). حاجة العالم الإسلامي المهمة هي الاتحاد. يجب تجاوز الخلافات الجزئية والذوقية والعقيدية وتشكيل الأمة الواحدة: ﴿إنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً وَحِدَةً وأَنَا رَبُّكم فَاعبُدون﴾(٥). هكذا يقول الله سبحانه وتعالى. الاعتقاد بالقرآن الكريم وبالرسول الأعظم (ص) وبالله الواحد وبالكعبة الواحدة وبالقبلة الواحدة مقابل جبهة الأعداء الواحدة، ألا تكفي هذه الأشياء لاتحاد العالم الإسلامي؟ لماذا لا يفهم البعض؟ لماذا لا يدرك البعض هذه الحقائق الناصعة؟ ما هو هدف أمريكا وجبهة الغربيين من التخويف من إيران ومن الشيعة؟ لماذا لا يفكّرون في هذا الشيء؟ الكيان الصهيوني الغاصب – وهو اليوم أكبر بلية يعاني منها العالم الإسلامي – يجب أن يستطيع الحياة براحة ويتغلب على مشاكله وينتصر على العوامل الهدامة الموجودة والحمد لله في هذا الكيان الغاصب. وهذا غير متاح إلّا بإشغال المسلمين ونشر الخلافات والنزاعات بينهم وتضخيم القضايا الصغيرة لهم.

نعتقد أن الصحوة الإسلامية قد حصلت، وقد حاول أعداء الإسلام قمع هذه الصحوة – وقد قمعوها في بعض المناطق والأماكن – بيد أن الصحوة الإسلامية مما لا يمكن قمعه. لقد رفعت راية الاعتزاز بالإسلام ونشرت، والشعور بالهوية الإسلامية بين المسلمين اليوم في أية نقطة من العالم قد قويت وتعززت وسوف تتعزز. وقد كان على شعب إيران في هذا الخصوص مسؤوليات كبيرة قام بها وسيقوم بها بعد الآن أيضاً. الشعب الإيراني يتقدم باعتقاد بالقرآن الكريم، وبإيمان برسالة البعثة

النبوية، وباتحاد داخلي بين أبنائه، وبشعور بالشجاعة مقابل الأعداء وعدم خوف منهم، وبشعور بالأمل بالوعود الإلهية بالنصرة، وهي وعود إلهية صريحة، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿إن تَنصُروا اللَّهَ ينصُركم ويثَبِّت أَقدامَكم﴾ (٦).. إنه يتقدم بهذه الكنوز والأرصدة الثمينة.

الحمد لله على أننا نسير باتجاه سنفتح فيه إن شاء الله الخنادق التي لا بدّ من فتحها لمواصلة الكفاح ضد الظلم والجهل واللاعدالة، ونتقدم إلى الأمام. والحمد لله على أن شعب إيران كان محظياً بالتوفيق والعون الإلهيين، وقد تقدمنا إلى الأمام خطوة بعد خطوة، وتجاوزنا المشكلات الواحدة تلو الأخرى، وسوف نتجاوز المشكلات الأخرى أيضاً بفضل الله وحوله وقوته.

المسؤولون يعكفون على العمل في الميادين المختلفة بشعور بالمسؤولية، والحمد لله على أن حكومتنا اليوم جديدة ومستعدة للعمل وتشعر باعتزاز بالإسلام، وتشعر أنها تحظى بالعزة لإيمانها بالله – وهذا هو الواقع – وتعمل وتجد وتبذل مساعيها. ثمة تحديات وهناك مشكلات، وهي مشكلات موجودة في طريق الحياة. إذا أريد للحياة أن تكون بعزة فإن الأفراد ذوي العقل والتدبير يصبرون على المشكلات من أجل تحقيق العزة والشرف الإنساني والكرامة الإنسانية والتقرّب إلى الله. والأفراد عديمو العقل يعيشون نفس هذه المشكلات لكنهم يتحملونها بذلة، وبدل أن يتقبلوا الولاية الإلهية يتقبلون ولاية الشياطين: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيكونوا لَهُم عِزًّا، كلّا سَيَكفُرونَ بِعِبادَتِهِم ويكونونَ عَلَيهِم ضِدًّا﴾ (٧). المعادلة التي يختارها ويتخذها الأفراد عديمو العقل والأجهزة عديمة العقل والناس الغافلون في الدنيا، يفضحها القرآن الكريم بهذه الطريقة. بدل أن يلجؤوا إلى الله، وعوض أن يتقبلوا الولاية الإلهية، وبدل أن يعتصموا بالهداية الإلهية، يتمسكون بولاية الشياطين وبولاية أعداء الإسلام وأعداء البشرية من أجل أن يحققوا العزة لأنفسهم، لكنهم لا يحصلون على هذه العزة. فحتى معبودوهم الخبثاء لن يشكروهم: ﴿كلّا سَيَكفُرونَ بِعِبادَتِهِم ويكونونَ عَلَيهِم ضِدّا﴾. بيان القرآن الكريم هذا بيان واضح، ويجب استلهام الدروس منه وينبغي معرفة الطريق بشكل صحيح. خط الهداية القرآنية يأخذ الناس إلى السعادة، وينبغي طلب العون من الله تعالى.

الحمد لله على أن نظام الجمهورية الإسلامي كان متمتعاً منذ بداياته وإلى اليوم بهذا الوعد الإلهي في مواجهته للأعداء، فقد وثق بالوعد الإلهي، واعتمدنا على قول الله ووعده وأبدينا حسن ظننا به، ولم نبد سوء الظن بالوعد الإلهي كما يفعل الكفار ومن لا إيمان لهم، ولذلك انتصرنا. انتصرنا في الثورة وانتصرنا في الدفاع المقدس، وانتصرنا في ساحات متعددة من ساحات الكفاح الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والدولي لحد اليوم والحمد لله، وبعد الآن أيضاً سيكون الأمر على نفس المنوال، فهذا هو طريق الشعب الإيراني.

رحمة الله على الإمام الخميني الجليل الذي فتح أمامنا هذا الطريق، ورحمة الله على الشهداء الأجلاء الذين ضحّوا بأرواحهم في هذا السبيل، ورحمة الله على شعب إيران الذي أبدى عن نفسه الجاهزية والاستعداد في كل المراحل والأطوار، ورحمة الله وفضله على مسؤولينا وساستنا المستعدين للعمل والسعي والتضحية في هذا الميدان.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ – نهج البلاغة، الخطبة رقم ١ .

٢ – سورة الفرقان، الآية ٣٠ .

٣ – سورة الأحزاب، شطر من الآية ٣٣ .

٤ – نهج البلاغة، الخطبة رقم ١ .

٥ – سورة الأنبياء، الآية ٩٢ .

٦ – سورة محمد، شطر من الآية ٧ .

٧ – سورة مريم، الآيتان ٨١ و٨٢ .